مجلة
اللغة العربية وآدابها
المجلد8/ العدد 1/ جوان 2020. ص 255- 274

إشكاليّة الوضوح والغموض
في الميزان النّقديّ

The Problem Of Critics' Clarity And Ambiguity

د/ محمد طيبي *

تاريخ الإرسال: 2020/09/17	تاريخ القبول:2020/10/24	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

للمنشغلين بالأدب عبر العصور، وفي سائر الحضارات الإنسانيّة، ولدى سائر الأمم والشّعوب رسالة مقدّسة يؤدّونها، انطلاقا من الإحساس بدرجة من النّشوة تكون قويّة تتركها أعمالهم في نفوس جمهور القرّاء، ولدى عامّة المتلقّين، فوظيفة الأدب الأولى بينهم، تسليّة القارئ وإفادته، فلا شيء دون ذلك، ولا شيء قبل التّطلّع لتحقيق أيّ غاية أخرى سواهما، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

لكن؛ وعلى أيّ حال، فمتى كان هذا الشّرط وما يرتبط به من الصّرامة كافيا لأن يحقّق الأدب مبتغاه، ويحقّق في النّاس ما يصبو إليه، وثمّة من العوائق ما لاحصر لها لصدّه عن ذلك؟ أولى تلك العوائق . لا ريب . ظاهرةُ ما ظلّ يميّز كثيرَ الأعمالِ الأدبيّةِ منذ القدم من غموض كبير، شعرا كانت أم نثرا، وطبعا في أصحابها أم تكلّفا، ما جعل منها في مجال النّقد قضيّة فتحت الباب واسعا أمام جلّ النّقّاد، وحفّزتهم على التّباري في شأنها، والتّأليف في مجالها، فلا يقرأ القارئ المتخصّص مؤلّفًا من أمّهات كتب النّقد إلّا وكان لها فيه نصيب، بغية الكشف عن أبرز أسبابها وأهمّ مقاصدها.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب . القرّاء . وظيفة الأدب . التّسلية . العوائق . الوضوح . الغموض . النّقد . القارئ المتخصّص . المؤلّف.

المؤلف المرسل: محمد طيبي، taibi.afr@gmail.com

* جامعة البليدة2، taibi.afr@gmail.com

المنارة للاستشارات

Abstract:

Throughout history, scholars in literature in all human civilizations and in all nations have had a sacred mission to accomplish. Starting from the strong feeling of euphoria that may be left on the readers and the general public. In fact, they all believe that the first and most important function of literature is to entertain and inform the reader before for looking for any other aim.

However, how far can this condition and the rigor associated to it be sufficient enough for literature to achieve its goal and produce the desired effect on people, taking into consideration the countless encountered obstacles? The first of these obstacles is undoubtedly the amount of ambiguity which has always characterized literary work whether prose or poetry, and whether intentional or unintended by the authors. This phenomenon has become a criticism issue that has opened the door wide to most critics and encouraged them to compete and write on it. Whenever a specialist reads a known book of criticism, he discovers the interest granted to its reasons and aims.

***Key terms**: literature. reading. the function of literature. entertainment. obstacles. clarity. ambiguity. criticism. specialized reader. The author.*

*** *** ***

مقدّمة:

أفضل ما يرتاح إليه المرء في هذا الوجود الوسطيّة والاعتدال، فبهما راحة نفسه واطمئنانها، وتفاؤلها بغدٍ واعدٍ، هانئٍ واستبشارُها. فمن سنن الخلق أنّه بطبعه ميّال إلى الوسطيّة، يأبى الغلوَّ والإفراط والتّفاوت الزّائد في جميع مجالات حياته، "والغلوّ من التّجاوز لقدر ما يجب، وقيل: تجاوز الحدّ، يقال ذلك إذا كان في السّعر غلاء، وإذا كان في القدر والمنزلة غلوّ، وأفعالها جميعا: غلا، يغلو..."[1]، والشّائع عند عامّة شعوب المعمورة. في هذا السّياق. منذ الأزل، والقاسم المشترك بينهم، ألّا إفراط ولا تفريط، فالغلوّ لديهم. أينما وجدوا. غالبا ما يؤدّي إلى الإعراض عن الشّيء والنّفور منه، بل ثمّة اتفاق على "أنّ ممّا يهلك الأمم وقوعُها في أحد طرفين، طريق الغلوّ وطريق الانحلال، والغلوّ يعني [مرّة أخرى] التّشدّد والتّنطّع والانحلال"[2]، والوقوع في ما يعكّر صفو الحياة ويلوّث أجواءها، وكثيرا ما يفسد لذوي الطّموح تحقيق طموحهم، فلا خيار بعدئذ غير الاعتدال والتّوازن، وترك سائر ما لا

المنارة للاستشارات

تُرجى منه فائدة، ولا تُتوخّى منه منفعة، فكلّ شيء زاد عن حدّه، انقلب مثلما. يقال. إلى ضدّه، وأدّى في الغالب إلى ما لا تُحمد عواقبه من النّهايات الوخيمة، والنّتائج المرفوضة الّتي لا تجدي نفعا.

والاعتدال بين النّاس . أفرادا وجماعات . مفهوم عام، لا يمكن حصره في مجال دون مجال آخر، فهو عندهم يتجاوز المسائل الحسّيّة والمعنويّة المختلفة إلى غيرها من المسائل المادّيّة الأخرى العديدة من حولهم، ومن هنا ترى عقلاء النّاس منذ القدم يُعْنَوْنَ بهذا الشّأن من خلال سلوكهم الّتي يسلكونها بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم معًا، فلا ريب أنّ الإنسان وفق ما تلتقي عليه وجهات نظر العديد من المنظّرين مجبول على ذلك، مطبوع عليه، "ابتداء من حياته الشّخصيّة وسلوكه اليوميّ، وتصرّفه في طعامه ولباسه ونشاطه الدّائم، وعلاقاته العائليّة [والخاصّة]، ومشاركاته الاجتماعيّة، بصفته عالما أو متعلّما أو مسؤولا أو نحو ذلك"[3] من كلّ ما يتيسّر عليه فعله، وما يصدر عنه من تصرّفات ذاتيّة تخصّه هو مع ذاته دون تجاوزها إلى غيره، أو ما سوى ذلك من أعمال أخرى شتّى تكون بينه وبين جميع من يحيط به، إذ أنّ الغاية من ذلك بما لا يدع أيّ مجال للشكّ، أن يرتاح فيرتاح معه الآخرون.

ففي القرآن الكريم بدايةً . وعلى سبيل المثال . لم يُترك مجال من مجالات حياة النّاس هذه الّتي يحيونها، إلّا وقد أُمِروا فيه بضرورة اتخاذ منهج الوسطيّة والاعتدال مسلكا لخلاصهم وخلاص الآخرين في الدّنيا، ونجاتهم جميعا فيما بعدها، وكم يبدو كبيرا حرص الله وعنايته . عزّ وجلّ . بصغائرِهم وكبائرِهم جميعِها على حدّ سواء فيما يتجلّى في قوله تعالى:"﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...** ﴾"[4]، فظاهر هذه الآية الكريمة يكشف في وضوح عن تنبيه قرآنيّ صريح إلى ترك كلّ غلوّ، وتجنّب كلّ تقصير لتبقى هذه الأمّة مثالا للاعتدال، ونموذجا للوسطيّة والعدل، الأمر الّذي تتطلّع الإنسانيّة كلّها لتحقيقه في سائر شؤون ومصالح حياتها.

ومن أهمّ ما يحرص عليه الإنسان من مجالات الحياة أينما كان، حرصه على توفير أسباب معيشته، بما يضمن له العيش الرّغيد، والخوف من السّقوط والغرق في متاهات الإفلاس والضّياع، نتيجة لما قد تقترفه . في الغالب . يداه من إسراف في التّبذير المفرط، والبذخ الزّائد، وعلاج ذلك فيما أُنزل في القرآن الكريم، الّذي يدعو في هذا الشّأن إلى التّحفّظ والاعتدال بما لا ضرر فيه ولا ضرار، أين يقول تعالى: "﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ**

المنارة للاستشارات

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾"5، وقوله جلّ شأنه: "﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾"6، فما أكثر ما في كتابه الكريم من مثل هذا الإصرار على ما في الوسطيّة والاتّزان والسّلوك الواضح من اطمئنان للفرد والمجتمع وراحة بالٍ، وكم من المشاقّ والمتاعب الّتي كثيرا ما تواجههم. مقابل ذلك. كنتيجة غالبا ما تكون حتميّة لسلوك متطرّف، أو تجاوز لحدود المعقول، أو كلّ ما يؤدّي لإثارة تساؤلات لا حصر لدى الغير ما كان لتكون.

وفي هذا المجال تحديدًا، ممّا ثبت في السّنّة النّبويّة الشّريفة، أو سواها من كلّ ما ينفع البشريّة جمعاء، وسواءٌ في ذلك؛ ما تضمّنته كنوز الأمم والشّعوب الغابرة من تراث إنسانيّ زاخر، كالحِكَم والأمثال والأقوال المأثورة وغيرها من تجارب الأسبقين ما يصبّ في هذا الاتجاه، ويصرّ عليه، ويركّز على غرس هذه القيمة الأخلاقية العالية في تربيّة الفرد والجماعة، وتنشئتهم عليها. فلدى المسلمين ممّا هو شائع بينهم على نطاق واسع، راسخ متجذّر في قيمهم، على نحو ما يتجلّى واضحا فيما جاء عن النّبيّ محمّد عليه الصّلاة والسّلام، داعيا ربّه، متضرّعا إليه جلّ علاه: **[اللّهمّ أصلح لي ديني الّذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الّتي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي الّتي فيها معادي...]**، ما يُفهم لدى القاصي والدّاني، أنّ المرءَ مطالب منذ صباه بأن يعمل لدنياه طلبا للرّزق كأنّه يعيش أبدا، ولأخراه رغبة في حسن خاتمته ورضى ربّه كأنّه يموت غدا، وفي ذلك مثال للوسطيّة والاعتدال لا نظير له، ليس فيه ما يُستثنى من سائر مجالات الحياة، فلا إفراط في الانشغال بشؤون هذه الدّنيا والانغماس في ملذّاتها إلى الحدّ الّذي لا يطاق، وإلى الدّرجة الّتي يترتّب عندها كلّ ما يؤدّي للوقوع في شباك الحيرة ومتاهات النّدم، ولا حظّ. مقابل ذلك. لتجاهلها والانصراف عنها لأيّ داعٍ من الدّواعي، أو سبب من الأسباب، وقِسْ على ذلك جميع ما ينبغي أن يجتنبَه النّاس في سلوكهم وتصرّفاتهم من كلّ مظاهر المغالاة والمزايدات والإجحاف في هذا الاتّجاه أو ذاك سلبا أو إيجابا.

ففي هذا السّياق ذاته، وممّا لا حيلة فيه للاستثناء هنا، فإنّ الإبداع في فنّ الأدب مجال قويّ. هو الآخر. من المجالات الأخرى العديدة الّتي اعتاد الأدباء التّباري في رحابها بقدر ما بينهم من التّفاوت في الخبرة والاقتدار والحنكة الفائقة، غايتهم إرضاء القارئ. لا شكّ. وسبيلهم الأوّل؛ امتثالهم الصّارم لما يفرض عليهم من شروط، وما يمكّنهم من تحقيق ذلك

المنارة للاستشارات

بين القرّاء من وسطيّة واعتدال، بعيدا عن جميع أشكال المغالاة، وكلّ ما يؤدّي إلى نفور فجفاء.

النّصّ بين المبدع والنّاقد:

قضايا النّقد بين المتخصّصين في مجال الأدب كثيرة متشعّبة، قديمة قدم الأدب نفسه، تتّفق وجهات نظرهم في شأنها حينا، وتتباين أحيانا أخرى، غايتهم .رغم ذلك .بينهم واحدة، ومقاصدهم في النّهاية مشتركة، لا حاجة لهم غير العمل على تطويره، والسّعي بما يقدرون عليه للمضيّ به قدما، على نحو ما تشهده سائر العلوم الأخرى من تطوّر مذهل لخدمة هذا الإنسان.

فللأديب عبر العصور، وفي سائر الحضارات الإنسانيّة، ولدى سائر الأمم والشّعوب رسالة مقدّسة يؤدّيها، انطلاقا من الإحساس بدرجة من النّشوة تكون قويّة يتركها في نفوس جمهور قرّائه، ولدى عامّة المتلقّين، لأنّ شعورهم بهذه المتعة هو أساس ما يعمل الأدباء، جميعُ الأدباءِ . شعراء كانوا أم كتّابا . على تحقيقه من خلال أعمالهم منذ الوهلة الأولى، فوظيفة الأدب الأولى بينهم، تسليّة القارئ وإفادته، فلا شيء دون ذلك، ولا شيء يرجى منه غير الطّموح لتحقيق أيّ غاية أخرى سواهما، الأمر الّذي يلزمهم بمراعاة كلّ ما يحقّق مقاصدهم هذه، وعلى درجة عالية من الخبرة والتّركيز والحنكة والذّكاء، وبُعْد النّظر والصّبر ومعرفة الآخر، وتجنّب سائر ما هنالك من كلّ ما يؤدّي إلى نفور القارئ وصدّه عن بلوغ حاجته من هذا العمل أو ذاك.

والقارئ الجادّ .في الأصل. لا يقتني أيّ نصّ من النّصوص الأدبيّة، ولا يُقبِل عليه ليهدر وقته وجهده، كائنا من كان صاحبه، وإنّما يُقبِل عليه متوسّما فيه تحقيق هذه الحاجة، أو تحقيق أقلّ ما يمكن تحقيقه منه، وما ينبغي معرفته في هذا الشّأن، أنّ النّصّ بين المبدع والقارئ هو عربون التّواصل الوثيق بينهما، بل هو العمل الّذي يسعى كلّ منهما لتحقيق مصلحته من خلاله، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

في رحاب هذا الأدب ممّا يبدع المبدعون، وفي هذا الميدان الفسيح ممّا ينتج المنتجون، ظلّ النّقّاد منذ القدم .بدورهم .يجتهدون، ذلك لأنّ الأدب عند من يهتمّ به من النّاس بضاعة كسائر البضائع، يُروَّج لها فيهم مثلما يُروَّج له، بل هو لدى أكثر العارفين بأسراره، "صناعة

المنارة للاستشارات

كسائر الصّناعات، وهو صناعة جميلة، كالنّحت، والنّقش، ونسج الثّياب وتلوينها، والنّقد صناعة، لكنّه غير قائم بذاته، بل متّصل بالأدب، فهو صناعة تذوّق لا صناعة خلق وإنشاء، لهذا كان النّقد قائما على وجود الأدب أو البيان، وليس فنّا قائما بذاته"[7]، فهو عند الأقدمين وعند المحدثين على حدّ سواء، وسواء بين هؤلاء وأولئك شرقا وغربا، الميزان الّذي توزن به الأعمال الإبداعيّة وينظر فيما يمكن أن تتضمّنه من فضائل تقتضي التّنويه والتّرويج، أو نقائص تستدعي المراجعة والتّدارك.

ليس ذلك .في آخر المطاف .إلّا بغرض رغبة انتقاء هذه البضاعة من تلك، وتفضيل هذا العمل عن ذاك، إنّها قناعة جلّ كبار النّقّاد الّذين جعلوا من الشّعر "صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصّناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللّسان، من ذلك اللّؤلؤ والياقوت، لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممّن يبصره، ومن ذلك الجهبذة بالدّينار والدّرهم، لا يعرف جودتهما بلون ولا مسّ، ولا طراز ولا حسّ ولا صفة، ويعرفها النّاقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها..."[8] باذلا لأجل ذلك حين هذه المعاينة أقصى ما يملك من قدرات، مستحضرا أقوى ما له في هذا الشّأن من سابق التّجارب والخبرات، متكبّدا من وقته .مع هذا وذاك .طول الأوقات.

ولعلّ ما ورد عن الجاحظ في هذا الشّأن، يريد به نصح الأدباء وتوجيههم إلى ما يؤهّلهم ويؤهّل أعمالهم بعد ذلك لنيل ما يصبون إليه، "بالاحتكام إلى ذوق الصّفوة من الجمهور والثّقة في ذلك الذّوق..."[9] لخير دليل على ذلك، إذ يقول: "إذا أردت أن تتكلّف هذه الصّناعة، [يعني صناعة الأدب] فقرأتَ قصيدة أو حبرتَ خطبة، أو ألّفتَ رسالة، فإيّاك أن تدعوك ثقتك بنفسك، أو يدعوك عُجْبُك بثمرة عقلك إلى أن تنتحله وتدّعيه، ولكن أعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب، فإن رأيت الأسماع تصغي له، والعيون تحدج إليه، ورأيت من يطلبه ويستحسنه، فانتحله. فإذا عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الأسماع عنه منصرفة، والقلوب لاهية، فخذ في غير هذه الصّناعة..."[10]، على نحو ما نقف عليه في نصّ الشّهادة النّقديّة التّالية، إذ يُفصِح صاحبُها ويؤكّد قائلا: "لقد ظللنا أكثر من عشرين عاما نطرح أسئلة حائرة...، وكلّما طرحنا سؤالا منهجيّا، أو معرفيّا، أو إجرائيّا، أو جماليّا، أو تقنيّا، أو فنّيّا...حاولنا أن نظفر بالإجابة عنه في قراءة المظانّ المختصّة...وبدأنا نجمّع طَوامِيرَ نسجّل فيها الملاحظات والآراء من حول الإشكاليّات التي نقرأ عنها"[11]، مُتطلّعين بعد

ذلك في طموح كبير، وشغف لا يقاس، إلى تحقيق ما نصبو إلى تحقيقه. لا ريب. ويصبو إليه معنا المبدعون، غايتنا من ذلك معا؛ تفحّص ما يعرض علينا من إبداعات أدبيّة عديدة، والوقوف على ما يتخلّلها من نقائص، أو ما يشوبها من شوائب، قصد إنزالها ما يليق بها من المراتب، ضمن ما هنالك من أعمال أخرى كثيرة تنافسها على افتكاك المراتب المرموقة، وعسى أن يكتب لها من بعد ذلك الخلود الّذي يبتغيه هؤلاء وأولئك على حدّ سواء،

مع ذلك كلّه، على النّاقد أن يظلّ يقظا صارما، بصيرا حريصا على الامتثال لجملة من شروط أخرى أكثر ضرورة، لا مجال للتّغاضي عنها،كالاطّلاع الواسع، والذّوق السّليم، والحسّ الدّقيق، والانفتاح على المختلف، وتجنّب الهوى، وتحرّي الصّدق، والتّخلّص من التّحيّز[12]، وسوى ذلك من كلّ ما يجعل منه ناقدا فاعلا مؤثّرا، قادرا على النّفع والانتفاع، فإذا لم يكن في نقده شيء من هذا، ضاع وأضاع، ودفع كثير القرّاء من حوله. بعد ذلك. إلى تعاطي الزّيف والباطل وتقبّل ما لا يُستطاع.

وللقارئ. في هذا الباب. أن ينظر في الفقرة الموالية بشيء من الإمعان وكثير من التّركيز، ليحكم بعد ذلك بنفسه إن كان لصاحبها من سابق الشّروط شيءٌ ممّا ينبغي أن يكون، وهو من يريد هنا إصدار حكم نقديّ، وإبداء وجهة نظر في بعض ما وقع بين يديه، إذ يقول:

"رأيت أنّ الأمانة العلميّة تقتضي ألّا أتصرّف في نقد الأستاذ [...] على ما فيه من هنات أو تحامل اعتاده كثير من شباب هذا العصر العجيب، ولا بأس عليّ من ذلك، فما كان من نقده صوابا وإرشادا إلى خطأ وقعت فيه، تقبّلته راضيا شاكرا وصحّحته في هذه الطّبعة، وما كان منه خطأ أو تحاملا، لم أفكّر في التّعقيب عليه إلّا فيما ندر، وما كان من مواضع اختلاف وجهة النّظر، تركته للقارئ يرى فيه رأيه، فيقبل منه ما يقبل ويرفض منه ما يرفض، فما يكون لي على النّاس من سلطان أفرض به رأيي عليهم، وما كان هذا من أخلاق العلماء"[13].

فالواضح هنا. لا شكّ. أنّ أجلى ما يُستخلَص من رأي صاحب هذا الموقف حضورُ كلّ ما هنالك من الضّوابط الصّارمة، والمعايير الثّابتة، الّتي التزمها النّاقد حين أراد الإدلاء برأيه على نحو ما سبق، وفيما يلي ما يبرّر وجهة النّظر السّابقة في وضوح، ردًّا على أحد منتقدي ابن قتيبة في تعامله مع ما وضع عليه يده من أشعار الشّعراء، أين يقول:

"سيجد القارئ أنّ كثيرا من نقد الأستاذ [...] ما هو إلّا تحكّم وافتئات* على ابن قتيبة أو غيره دون دليل مرجّح، فنجده كثيرا ما يذكر البيت أو النّصّ من كلام ابن قتيبة، ثمّ يزعم

المنارة للاستشارات

أنّ صوابه كذا، دون دليل مقنع، وأحيانا دون نقل عن مصدر معتمد، والرّوايات في الشّعر وفي نصوص المتقدّمين تختلف كثيرا، كما يعرف كلّ مشتغل بالعلم أو بالأدب، فمن المصادرة والتّحكّم أن نجزم بصحّة رواية أخرى في كتاب آخر دون رواية ابن قتيبة. وقد يكون راوي تلك الرّواية دون ابن قتيبة منزلة في العلم أو في الثّقة بروايته، خصوصا دواوين الشّعراء، فنجد الأستاذ [...] يجزم بصحّة رواية بيت بأنّه في ديوان الشّاعر المنسوب إليه بنصّ آخر، والشّعراء. كما يعرف النّاس. لم يجمَعوا دواوينهم بأنفسهم إلّا في النّدرة النّادرة، وقد يكون جامع الدّيوان ورّاقًا من الورّاقين، أو عالما مغمورا متوسّطا لا يُوازَن بابن قتيبة وأضرابه من العلماء، فمن التّجنّي والتّحكّم أن نجزم بصحّة الرّواية لأنّها في ديوان الشّاعر، دون رواية ابن قتيبة، وهو إمام كبير، وعالم يعرف ما يقول وما ينقل، وهذا بديهيّ لمن تأمّل وعرف وأنصف"[14].

حُجَجٌ قويّة دامغة. لا ريب. لم تُبْقِ للأستاذ المنتقد لابن قتيبة بعدها من مجال ولا حظّ للردّ عليها، فقد غابت عنها الأدلّة القاطعة، والبيانات المقنعة، والمرجعيّات الثّابتة، وعوض أن يستند إلى ما يجعل من أحكامه أحكاما لا تُردّ، تُفحم نظراءَه فتسدّ عليهم الطّريق للردّ عليه، والتّطاول على مصداقيّته، فقد ترك الباب أمامهم مفتوحا على مصراعيه، فلا ندري. بعدئذ. إذا كان ذلك جهلا منه أم تجاهلا، ولكنّ الأدهى من هذا وذاك معا، إذا كان استصغارا منه أو تقزيما للآخرين، وهو ما يتنافى والخصال الّتي يشترط على النّاقد الفاعل صونها والذّود عن الحدّ الأدنى منها، إن كان له من الرّغبة للحفاظ على ما ينبغي الحفاظ عليه من المصداقيّة، وهل يبقى للأديب شيء آخر ينافح دونه إن ضاعت منه بين قرّائه مصداقيّته؟

وعلى أيّ حال، فمتى كانت هذه الشّروط وما يرتبط بها من انضباط صارم كافيةً لأن يبلغ الأديب والناقد معًا مبتغياتهما، ويحقّقا في النّاس ما يصبوان إليه، وثمّة ما لا يحصى من العوائق العديدة الّتي كثيرا ما تصدّهما عن ذلك؟ منها على سبيل المثال، وممّا شاع اللّغط والتّجاذب حوله منذ القدم، إشكاليّة وضوح النّصّ أو غموضه في رأي كلّ منهما.

الوضوح والغموض بين نقّاد المشرق والمغرب:

أولى تلك العوائق ممّا شاع منذ القدم بين كثير من القرّاء. لا ريب. ظاهرةُ ما ظلّ يميّز. في رأيهم. كثيرَ الأعمالِ الأدبيّةِ من غموض، شعرا كانت أم نثرا، وطبعا في أصحابها أم تكلّفا، ما جعل منها في مجال النّقد قضيّة فتحت الباب واسعا أمام جلّ النّقّاد، وحفّزتهم على

التّنافس القويّ في شأنها، والتّأليف في مجالها، فلا يقرأ القارئ المتخصّص مؤلَّفًا من أمّهات كتب النّقد إلّا وكان له فيها نصيب، بغية الكشف عن أبرز أسبابها وأهمّ مقاصدها، ومن الأمثلة على ذلك لدى القدامي .على سبيل المثال .ما ثبت عن النّابغة الذّبيانيّ، أشْهَرِ أقرانِه ومعاصريه من الشّعراء الجاهليّين فيما مدح به النّعمان بن المنذر، ممّا لا تزال تحتفظ به متون ما لا يحصى من أمّهات كتب النّقد حين قال:

"تخِفُّ الأرضُ إمّا بِنْتَ عنها ويُعنى ما حَيِيتَ بِهَا ثقيلا"

فردّ عليه النّعمان على نحو ما فهم، أنّ قولَك في هذا البيت أقرب إلى الهجاء منه إلى المدح، ما لم تزد عليه ما يوضّحه، فراجع النّابغة ما في شعره وفق ما يرى فيه رِضَى صاحبِه، ثمّ أضاف ما أضاف إلى أن قال:

"رَسَتْ بكَ أوتادُها فاستقرَّتْ وتمنعُ جانبيْها أن يميلا"[15]

فالظّاهر من خلال هذا المثال، أنّ أقلّ ما يمكن قوله عن النّابغة هنا، رغم ما ظلّ يُعرف عنه من نبوغٍ قلّما ضاهاهُ فيه شاعر آخر من أبناء زمانه، وهو من كان حكما بين الشّعراء في سوق عكاظ، أنّه لم يفلح .أوّل الأمر .في بلوغ غايته ما لم يكن قد تعمّد ذلك مع ممدوحه، مطمئنّا إلى قدرته على فهم شعره، وسعة علمه، إلى أن وجد ضالّته في بيت بديل يؤدّي الحاجة ويفي بالغرض.

مثل هذا النّموذج في شعر القدامى كثير، أيْ إنّ الغموض لدى كثير منهم فيما كانوا يبدعون بات بين أنفار من النّقّاد شغلا شاغلا، وميزة بارزة يتهافتون في تنافس لا نظير له على إبداء آرائهم وإصدار أحكامهم في شأنها، مثلها مثل ما لا يحصى من قضايا النّقد الأخرى العديدة.

وممّا لا يمكن تجاوز الحديث عنه في هذا السّياق، ممّا لا يختلف عليه اثنان، أنّ الأصل في وظيفة الأدب .شعرا ونثرا .وفق ما سبقت الإشارة إليه، تسليّة القارئ وإفادته بما يمكن فهمُه، لكن ما أكثر ما في شعر الجاهليّين من الأمثلة والأحداث الّتي أدّت في هذا الصّدد إلى نشوب تباين في الآراء بينهم كبير، وخصومات بينهم وبين النّقّاد .لا حصر لها .من جهة أخرى أكبر، سببُها في الغالب عجز المتلقّين .من أبناء زمانهم .عن ولوج مداخل ما يريد الشّاعر، فكان أن اتّجهت أنظارهم وِجْهَاتٍ شتّى، غير أنّهم ظلّوا .رغم ذلك .مركّزين معًا على عنصريْ اللّفظ والمعنى أساسًا، رُكْنَيْ سرِّ وضوح الشّعر أو غموضه، فَـ"جملة الأمر [في هذا الشّأن]

المنارة للاستشارات

أنّ اشتكال المعاني وغموضها من جهة ما يرجع إليها أو إلى عباراتها، يكون لأمور راجعة إلى مواد المعنى أو مواد العبارة أو إلى ما يكون عليه إجراؤهما من وضع وترتيب أو إلى مقادير ما ترتّب من ذلك، أو إلى أشياء مضمّنة فيهما أو أشياء خارج عنهما"[16]، فلا شيء غير ذلك. في اعتقادهم .يكون سببا في فشل القارئ وبلوغه غايته، ولا مجال بعد ذلك سوى أن يعيد المبدع ترميم ما بدا للقارئ في عمله من تصدّعات، ما لم يكن العيب في القارئ ذاته.

ولعلّ هذا ما قد أدّى إلى الإفصاح عن حقيقة لا جدال حولها، غايتها بلوغ مقاصد النّصّ لدى المبدع والمتلقّي على حدّ سواء، على أنّ "اللّغة تكون واضحة كلّ الوضوح إذا تألّفت من ألفاظ دارجة، لكنّها حينئذ تكون مبتذلة، وتكون واضحة نبيلة بعيدة عن الابتذال إذا استعملت ألفاظا غير مألوفة في الاستعمال الدّارج، كالكلمات الغريبة، أي غير المبتذلة، وكالمجاز والألفاظ المركّبة، ولكن يجب القصد في استعمال هذه الكلمات غير المبتذلة في المجازات، فالإفراط في استخدام الكلمات الغريبة، وفي استخدام المجازات ينتج أثرا هزليّا، واستعمال الكلمات الغامضة . لأنّها مشتركة بين معان كثيرة . وسيلة يلجأ إليه السّوفسطائيّون لتضليل سامعيهم"[17]، وما في ذلك شيء من مقاصد الأدب. لا ريب .

ولا عجب في ذلك وقد ثبت عن كثير من قدامى الشّعراء أنّهم كانوا يصنعون أشعارهم صناعة، حتّى قيل عن زهير بن أبي سلمى(توفي في السّنوات الأولى من الهجرة النّبويّة)* أنّه كان عبدًا مطواعا لشعره، "فقد نسبوا إليه الحوليّات ليظهروا رؤيته وأناته في تنقيح شعره، فقالوا إنّه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر، ويهذّبها في أربعة، ويعرضها على أخصّائه في أربعة"[18]، في لغة اتّسمت بين معاصريه من العارفين بفنّ الشّعر "بشدّة أسرها...فيها اعتماد ملحاح على المادّة لإظهار الحقائق واضحة ملموسة، على منطق راجح وحبّ إقناع، وحسبنا أن ننظر إلى عنايته بتبيان مغبّة الحرب في صور محسوسة بارزة الخطوط، وإلى مجادلاته ومواعظه وأمثاله بغية الإقناع"[19]، لغة لا جفاء ولا تنافر فيها بين اللّفظ والمعنى، يأنسها القارئ لأوّل وهلة تعرض عليه.

وما يلفت النّظر هنا. على ما يبدو. أنّ مذهب جلّ النّقّاد في المشرق كما في المغرب، وفي هذا الباب تحديدا، مذهب واحد، وإلّا فكيف يمكن أن يلتقي ابن رشيق (390 . 456 هـ) وحازم (المتوفّى بتونس في 24 رمضان 684هـ الموافق لـ 23 نوفمبر 1285م) على قناعة واحدة ما لم يكونا قد تشرّبا من منهل واحد، واستنارا من مشكاة واحدة، إذ يبدي ابن رشيق عن

وجهة نظره في الأمر .بدوره .وعلى شاكلة صاحبه أنّ "اللّفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الرّوح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصًا للشّعر وهُجنة عليه،...ولا تجد معنى يختلّ إلّا من جهة اللّفظ، وجريه فيه على غير الواجب، فإن اختلّ المعنى كلّه وفسد بقي اللّفظ مواتا لا فائدة فيه وإن كان حسن الطّلاوة في السّمع"[20].

والنّتيجة إثر ذلك كما يبدو أن "ليس تحت هذا كلّه إلّا الفساد وخلاف المراد"[21]، فهل من عقلاء الشّعر من يرتضي لشعره أن يؤول هذا المآل؟ "فالشّاعر عضو في مرافق الجماعة الإنسانيّة، له رسالة سامية يبلّغها بجمال فنّه وما فيه من بهجة للنّفوس وإرهاف للعواطف، ولكن من الخير أن يجتمع إلى جمال الفنّ جمال الغاية، فيستطيع الشّاعر أن يضيف إلى رسالته الأدبيّة رسالة الإصلاح"[22]، ولهذا عدّت مسألة اللّفظ والمعنى عند الشّعراء والنّقّاد على حدّ سواء، باعتبارهما جسد اللّغة وروحها، "من أقدم المشكلات الّتي رافقت الكلام عن الشّعر لتمييزه عن النّثر أو عن العلوم، ولتقدير قيمته وتبيّن تأثيره، ولا تزال حتّى اليوم تشغل حيّزا واسعا في النّقد الأدبيّ"[23]، إن لم نقل أنّها باتت محطّ أنظار كلّ الباحثين في مجال الأدب مهما كانت غايات دراساتهم الّتي ينجزون، وأيًّا كانت مناهج بحوثهم الّتي لأجل ذلك يفضّلون، فما كان لهم في هذا الصّدد، بل ولن يكون لهم بأيّ حال من الأحوال أن يتجاهلوا هذه المسألة التي يبقى جميعهم في مجالها يتنافسون.

من هنا كان أن ظهر فيهم .نتيجة لذلك .الرّافضون للغموض من جهة، والمؤيّدون له بشكل من الأشكال من جهة ثانية، وذوو الموقف المعتدل في ذلك من جهة أخرى، لكنّ الثّابت في الأمر بما لا يختلف فيه اثنان، أنّ كثيرًا من النّقّاد، إن لم نقل جميعهم، قد وضعوه نصب أعينهم، وأخذوه على محمل الجدّ .مثلما يقال .ما لم يكونوا قد جعلوا منه ضمن اهتماماتهم شغلا شاغلا، على نحو ما عرف به أبو الحسن حازم القرطاجنّيّ، فممّا ورد عنه في هذا الشّأن، شعورا منه بضرورة الإسهام للعمل على توضيح رأيه "أنّ المعاني وإن كانت أكثر مقاصد الكلام ومواطن القول، تقتضي الإعراب عنها والتّصريح عن مفهوماتها، فقد يقصد في كثير من المواضع إغماضها وإغلاق أبواب الكلام دونها، وكذلك أيضا قد نقصد تأديّة المعنى في عبارتين: إحداهما واضحة الدّلالة عليه، والأخرى غير واضحة الدّلالة لضروب من المقاصد. فالدّلالة على المعاني إذن على ثلاثة أضرب: دلالة إيضاح، ودلالة إبهام، ودلالة

المنارة للاستشارات

إيضاح وإبهام معًا"[24]، مع وجوب مراعاة مقتضى الحال، وتحسّس قدرات المتلقّي في جميع أحوالها، "لأنّ الكلام الّذي يعجز عن أداء معناه في وضوح، يفوت الغرض منه..."[25]

يستطيع القارئ أن يقف فيما سبق ممّا أومأنا إليه على خلاصة مركّزة لما افتتح به حازم القرطاجنّيّ تناولَه للموضوع، غير أنّه يلاحظ بعد ذلك استرساله في الشّرح ليكشف عن رأيه في دقّة مفصّلة من مستوى آخر هذه المرّة، فكأنّه يريد تدارك ما قد يُفهَم من كلامه فهما ساذجا، فيكون بعدئذ ذريعة واقية للكسالى أو محدودي المستوى من هؤلاء وأولئك، يتوارون خلفها متحجّجين بما لا يُقبل من أوهام واهية، فجليٌّ أنّ الوضوح عنده لا يعني الإفراط ولا التّفريط بأيّ حال من الأحوال، وها هو "يقرّ أنّ بعض أنواع الغموض لا بدّ أن يتوفّر في الشّعر مثل اللّغز والكناية، والإشارات إلى الأحداث الماضية والقصص، ممّا يتطلّب من القارئ ثقافة خاصّة، [وهو] في الجملة منحاز إلى جانب الوضوح، فبعد أن يعدّ وجوه الغموض النّاجمة عن طبيعة المعنى (كدقّة المعنى أو تحمّله لأوجه من التّأويل) وعن طبيعة العبارة (كالتّقديم والتّأخير أو طول العبارة وكثرة المعترضات...إلخ) نراه يصف للشّاعر حيلًا يستطيع أن يخفّف بها من درجة الغموض في شعره أو يزيلها، فإذا كان المعنى نفسُه دقيقا، وجب على الشّاعر أن يؤدّيه بأبسط عبارة، أو أن يُقرن المعنى بما يناسبه من الأمور التّوضيحيّة، وانتصارا منه للوضوح، ينصّ باعتماد القصص المشهورة حتّى لا تكتسي الإشارات بالغموض، وينصح الشّاعر أن يبتعد عن العبارات المتعلّقة بصنائع أهل المهن، أو العبارات الدّالّة على المعاني العلميّة"[26]، أو ما سوى ذلك من كلّ ما قد يسلب القارئ حقّا مشروعا يبتغيه، وفائدة تفيده، ومتعة تُذهب عنه أساه بعد ذلك فتُسلّيه.

ففي هذا الإصرار والتّركيز على دواعي الوضوح في الشّعر وسبل الالتزام به كلّها، والذّهاب في هذا الاتّجاه والإيّاب معًا، ما قد يؤكّد خلفية مقاصد القرآن الكريم لتحقيق الغاية ذاتها، غاية ما أراده الله تعالى بكلمة **البيان**، أين يقول سبحانه عزّ وجلّ: "**الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾**"[27]، ثمّ مَن مِن النّاس يجرؤ أن ينفي عن كاتب من مستوى الجاحظ (775 ؟ – 867 م و 159 ؟ - 255 هـ)[28] نيّة تحقيق هذه الغاية بين النّاس، حين اختار لكتابه المعروف تسميّة **البيان والتّبيين**؟ فهل ثمّة فَهْمٌ آخر يمكن أن يخطر ببال عاقل غير ما يراد؟

لكن وأيًّا كان الّذي يراد هنا، يبقى على كاهل الشّاعر الوصول إلى إحداث درجة من الإمتاع في القارئ، ومستوى من الفائدة، فما يكاد أن يجمع عليه العارفون في مجال الأدب قديما وحديثًا، رغم ما بينهم من بعض التّضارب في وجهات النّظر، فالقاسم المشترك الّذي عليه يجتمعون "أنّ الشّعر ليس مضيعة للزّمن، ليس أُلهية [من اللّهو] لتمضية الوقت، بل يحتاج إلى عناية جادّة...فإذا كان الشّعر ناجحا في تأثيرهن فلا بدّ أن يحقّق هاتين الصّفتين، أي المتعة والفائدة"[29]، فالّذي يُراد الإشارة إليه بالعناية الجادّة هنا، أنّ أعلى درجات ما يجد الفكر فيه متعته الكشف عن كلّ غامض، وفي هذا قيل قديما، كلّ ممنوع مرغوب فيه، أو "كلّ جديد جميل"[30].

يتجلّى من خلال ما سبق أنّ حرصَ النّاقد .ممثّلا للنّقّاد المغاربة .على الميل إلى الوضوح المعتدل،لم يترك للشكّ مجالا على انصراف الكثير من أمثاله، مشرقا ومغربا صوب هذا التّوجّه، وفي ذلك ما يتوافق مع أنصار ومحبّي شعر البحتري ممّن مثّلوا المشارقة، الّذين عُرف بعضهم .هم كذلك .بتفضيل الوضوح على الغموض، شرطهم في ذلك بغرض ما يصبو إليه كل مبدع؛ "حلاوة اللّفظ، وحسن التّخلّص، ووضع الكلام في مواضعه، وصحّة العبارة، وقرب المأتى، وانكشاف المعاني"[31]، وهي أقوى ما يكاد يجمع عليه جلّ النّقّاد في معالجتهم لهذه القضيّة، الّتي كانت ولا زالت تؤرّق الأديب والنّاقد على حدّ سواء.

فلا غرو في ذلك ما دامت طبيعة الإنسان في هذا الوجود مقترنة . منذ الأزل . بحبّ الجمال والبحث عنه أينما كان، وفي الشّعر ما يجب أن يحقّق ذلك، أو يحقّق ما أمكن أن يحقّقه على الأقلّ، إذ "الشّعر .على العموم .قد ولّده سببان، وأنّ ذينك السببين راجعان إلى الطّبيعة الإنسانيّة، فإنّ المحاكاة أمر فطريّ موجود للنّاس منذ الصّغر، ثمّ إنّ الالتذاذ [من اللّذّة] بالأشياء المحكيّة أمر عام للجميع"[32]، بل هو فيهم غريزة أبديّة .لا ريب .

فمذهب هؤلاء وأولئك من نقّاد المشرق والمغرب وشعرائهما على حدّ سواء، يكشف في وضوح عن جنوحهم معًا وبإصرار لا نظير له إلى الوضوح، غير أنّه لا يُفهم من جنوحهم هذا أنّهم كانوا متمادين فيه إلى درجة الإسراف، ولا إلى حدّ السّذاجة، فقد ثبت عن أبي نواس (762 .814 م و 145 .199هـ) أنّه "لم يكن فقط من كبار الشّعراء الّذين حذقوا الصّناعة اللّفظيّة وفنّ التّعبير، بل كان كذلك شاعرا مطبوعا، يعرف كيف يصوغ أحاسيس الغناء الصّادقة، وعواطف الشّعور الرّقيق...وإن كان نزوعه على سحر الألباب بصورة مفاجئة من

المنارة للاستشارات

الخيال يحمله كثيرا على تجاوز حدود الغلوّ في الوصف والتّشبيه"[33]، فمن أكبر اهتماماته حين الشّروع في نظم القصيدة .وفق ما يفهم من هذه الشّهادة .مراعاة الآخر، والحرص على تمكينه منها بشتّى الوسائل والطّرق، فلا مجال عنده .بعدئذ .لأيّ لبس أو غموض يؤدّيان إلى نفور، رغم ما بيده من كلّ ما يجعل من شعره شعرا مغلقا على غرار الكثير من نظرائه من الّذين اتّسمت أشعارهم بالمغالاة.

وممّا يُشهَد لهم به في هذا المجال أنّهم كانوا يدركون ما على كاهل القارئ من ضرورة السّعي لمواكبة مستوى الشّاعر، فإذا عجز؛ بادر واجتهد للبحث عمّا يرتقي به إلى درجة الفهم، الأمر الّذي بات قناعة الكثير من العارفين بهذه الأسرار، ولا شكّ في أنّ هذا ما قد دفع بشاعر من مستوى أدونيس ليقول: "إنّ عدم فهم الشّعر لا يعود إلى إغرابه، بل يعود إلى أنّ قارئه قليل الدّربة والممارسة، ومنذ أن تنكشف له معانيه، بالممارسة والدربة، يزول إغرابه، ويصير واضحا"[34]، فلا بدّ من الممارسة إذن، ولا مجال لذلك إن هو أراد مرافقة الشّاعر قدما بقدم .مثلما يُقال.

ولنا في هذا الصّدد أن ننظر فيما كان من حوار ساخن بين طه حسين وصاحبه، يريد إقناعه بأنَّ تجاوزَ إشكاليّةِ الغموض تقتضي من القارئ بذل ما يمكن بذله من جهد ووقت، ولا شكّ أن ما دار بينهما من جدل لخير دليل على ما يؤكّد كلّ ما أسلفنا، إذ يقول:

"قلت لصاحبي .وقد طال الحوار بينه وبيني في نفع هذه السّاعة الّتي أردت أن يقضيَها مع شاعر من الشّعراء الجاهليّين هو لبيد: وما ضرّك أن تتكلّف بعض الجهد والعناء ساعة من نهار لتسمع عن هذا الشّاعر الّذي كان القدماء يُعجبون به إلى غير حدّ، ويكبرون شعره في غير تحفّظ، يجتمعون إليه ليستمعوا له، ويسعون إليه ليسألوه، ويتناقلون شعره معجبين برصانة لفظه، ومتانة أسلوبه، واعتدال وزنه، واستقامة قوافيه، وروعة معانيه، في دقّة لا تشبهها دقّة، ووضوح مع ذلك لا يشبهه وضوح..."[35].

فعلى ما في اجتهاد طه حسين من محاولات الإقناع كما يبدو، إلّا أنّه لم يوفّق في مسعاه قيد أنملة، وفق ما تضمّنه ردّ صاحبه الّذي أوصد الأبواب في وجه محاوره بالشّكل الّذي لم يبق له أيّ أمل لمواصلة مناقشته وإقناعه، إذ يصرّح مصرًّا:

"إنّي لن أفهمَ عنه إذا استمعت له، ولن أذوقه إذا فهمت عنه، ولن أجد في ذوقه من اللّذة والمتاع ما أجده حين اقرأ شعر المحدثين، وأستخلص ما فيه من معان تلائم طبيعتي

ومزاجي، قد أُدِّيَتْ في لفظ يلائم ذوقي وحسبي، ولقد حاولت منذ حين أن أقرأ لبيدا هذا، فما كدتُ أبلغ الأبيات العشرة الأولى من قصيدته المطوّلة حتّى ضقت بها، وانصرفت عنها، لا بغضا ولا قلًى، ولكن عجزا ويأسا"[36].

فعجز هذا القارئ عن فهم شعر لبيد عجز ثابت، وليس ثمّة ما أعاقه .كما يبدو .أكثر ممّا أُدِّيَ به من ألفاظ لم تَرُقْهُ مثلما راقته ألفاظ شعر المحدثين، الّذين أبهروه فصرفوا نظره عن شعر لبيد وغير لبيد، [لا بغضا ولا قلًى ولكن عجزا ويأسا]، فهل في هؤلاء الشّعراء بعد هذا مِنْ مُصغٍ مُقرٍّ، أو منصف جريء يعمل على وضع حدّ لهذا الجفاء ويقدر عليه؟ ثمّ هل لهذه المبرّرات والأعذار نصيب من المنطق، وقليل ممّا يمكن أن يُبْهِتُ هؤلاء الشّعراء . في المقابل . ؟ اللّهم إلّا إذا كان الأمر مجرّد عذر أقبح من ذنب .كما يقال؟

من هنا تحديدا، يحقّ لأيّ كان في هذا الشّأن أن يكشف عن حيرته، وعمّا يبقى للشّعر من عفّة وشرف إن هو بدا بألفاظه ومعانيه في عيني قارئه عاري الدّلالة، مكشوف الهمّة، ليس فيه ما يثير دهشة، وما يدعو إلى فضول، ولا إلى بذل شيء من الجهد الفكريّ يُذكر؟ فدور القارئ عند العارفين دور فاعل، لأنّ قراءته للنّصّ إن كانت قراءة واعية جادّة، قد تنتج نصّا جديدًا، فيه ما لم يدركه صاحب النّصّ الأوّل ولم يخطر بباله، ومن هنا عُدّ القارئ شريكا ثابتا، ومبدعا من طراز جديد، واعتبرت قراءته وِلادةً أخرى للنّصّ الأصلي، أبهى طلعة، وأغنى نتاجا، فهل من القرّاء من يقدر على ذلك ليكون في الأجر شريكا؟

وإلّا؛ فأيّ موقف يقفه القارئ وهو يرى عن كثب، وتحت وطأة دهشة عالية لا حيلة له على مجابهتها وردّها أنّ "النّاس مفتونون بالسّهل، متهالكون على القريب، يكرهون الجهد، ويفرّون من التّعب، والحضارة الحديثة تغريهم بهذا، فهم لا يمشون إذا استطاعوا الرّكوب، وهم لا يتّخذون القطار والسّفينة إذا استطاعوا اتّخاذ الطّيّارة، وهم يجدون في الأدب الأجنبيّ الحديث ما يرضيهم، فإن أرادوا اللّذّة الفنّيّة ظفروا بها، وإن أرادوا اللّهو انتهوا إليه، وإن أرادوا إنفاق الوقت لم يجدوا في ذلك جهدًا ولا عناء"[37] ،

فالوضوح الّذي يرتضيه هؤلاء وأولئك، ويرتضيه كلّ عاقل معتدل، ونرتضيه جميعا من الشّاعر ونشجّعه عليه، لا يعني بأيّ حال من الأحوال النّزول به إلى الحضيض، وإلى أسفل ما يمكن أن تكون عليه السّطحيّة والابتذال، فيكون بذلك شعرا ساقطا، فجّا، ساذجا لا خير فيه، فمن وظائف الشّاعر في النّاس إطلاعهم على كثير ممّا يجهلون، ودفعهم

المنارة للاستشارات

دفعا إلى العمل لإدراك ما هم عن فهمه وإدراكه عاجزون، ومن صفاته أن يكون فيهم نبراسا ينير دروبهم، فهو فيهم أكثر منهم شعورا بما يحيط به وبهم، ومن هنا سُمِيَ شاعرا، حتّى قيل "إنّ الشّاعر العالم أفضل من الشّاعر غير العالم"[38]، على أن يبقى هذا الهاجس بين الشّعراء والقرّاء نسبيّا، ليعيَ كلّ منهم ما له وما عليه ما دام بينهم قاسمَهم المشترك، وديدنَهم الّذي في رحابهم يتفاعلون.

*** *** ***

الهوامش:

[1] / عبد الرّحمن السُّديس: بلوغ الأمال في تحقيق الوسطيّة والاعتدال، مدار الوطن للنّشر، الطّبعة الثّالثة، الرّياض / المملكة العربيّة السّعوديّة، 2017، ص: 213.

[2] / يوسف القرضاوي: كلمات في الوسطيّة الإسلاميّة ومعالمها، دار الشّروق، الطّبعة الثّالثة، القاهرة / مصر، 2011، ص: 09.

[3] / محمّد المدني بوساق: فوائد الخطاب الوسطيّ على الفرد والمجتمع، جامعة نايف العربيّة، الرّياض / المملكة العربيّة السّعوديّة، 2015، ص: 12.

[4] / سورة البقرة: الآية: 143.

[5] / سورة الفرقان: الآية: 67.

[6] / سورة الإسراء: الآية: 29.

[7] / محمّد زغلول سلام: تاريخ النّقد الأدبيّ والبلاغة حتّى القرن الرّابع الهجريّ، مطبعة أطلس، القاهرة، 2002، ص: 11.

[8] / محمّد بن سلّام الجمحيّ: طبقات الشّعراء، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت / لبنان، 1969، ص: 03.

[9] / محمّد غنيمي هلال: النّقد الأدبيّ الحديث، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، أكتوبر 1997، ص: 150.

[10] / نفسه: ص 150. 151.

[11] / عبد الملك مرتاض: في نظريّة الرّواية [بحث في تقنيّات السّرد]، العدد 240، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص: 07.

[12] / ينظر: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، تحقيق السّيّد أحمد صقر، دار المعارف، الطّبعة الرّابعة، القاهرة 1992، ص: 03.

[13] / ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمّد شاكر، الجزء الأوّل، دار المعارف، الطّبعة الثّانية، القاهرة، [د.ت]، ص: 05. 06.

المنارة للاستشارات

* / الافتئات في معناه القريب من السّياق الوارد في الفقرة هو الافتراء والكذب، وهو الإنفراد بالرّأي والاستبداد به، ويعني كذلك موت الرّجل فجأة.

[14] / ابن قتيبة: الشّعر والشّعراء، المصدر السّابق، الصّفحة نفسها.

[15] / النّابغة الذّبيانيّ: الدّيوان، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطّبعة الثّانية، مصر، [د.ت]، ص:208.

[16] / أبو الحسن حازم القرطاجنّيّ: منهاج البلغاء وتاج الأدباء: تقديم وتحقيق محمّد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت / لبنان، [د.ت]، ص: 175.

* / ينظر التّعريف المفصّل للشّاعر ضمن:

.بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهليّة والإسلام، دار مارون عبّود، الجزء الأوّل، بيروت، 1986، ص: من 128 إلى 144.

. كارل بوكلمان: تاريخ الأدب العربيّ، نقله إلى العربيّة الدّكتور عبد الحليم النّجّار، ، دار المعارف، الجزء الأوّل، الطّبعة الخامسة، القاهرة، 1983، ص: 95.

[17] / محمّد غنيمي هلال: النّقد الأدبيّ الحديث، مرجع سابق، ص: 116.

[18] / بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهليّة والإسلام، الجزء الأوّل، مرجع سابق، ص: 131.

[19] / نفسُه: ص: 132.

[20] / ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، دار الجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة، الجزء الأوّل، الطّبعة الخامسة، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، 1981، ص 124.

[21] / نفسُه: ص: 125.

[22] / بطرس البستاني: أدباء العرب في الجاهليّة والإسلام، مرجع سابق، ص: 132.

[23] / إحسان عبّاس: فنّ الشّعر، دار الثّقافة، الطّبعة الثّالثة، بيروت / لبنان، [د.ت]، ص: 190.

[24] / أبو الحسن حازم القرطاجنّيّ: منهاج البلغاء وتاج الأدباء: مصدر سابق، ص: 172.

[25] / محمّد غنيمي هلال: النّقد الأدبيّ الحديث، مرجع سابق، ص: 116.

[26] / إحسان عبّاس: تاريخ النّقد الأدبيّ عند العرب (نقد الشّعر): دار الثّقافة، الطّبعة الرّابعة، بيروت م لبنان، 1983، ص ص: 554. 555.

[27] / سورة الرحمن: الآيات، 1. 2. 3. 4.

[28] / ينظر التّرجمة المفصّلة لحياة الجاحظ ضمن:

.بطرس البستاني: أدباء العرب في الأعصر العبّاسيّة، دار مارون عبّود، الجزء الثّاني، بيروت، 1979، من الصّفحة 260 إلى الصّفحة 285.

[29] / إحسان عبّاس: فنّ الشّعر، مرجع سابق، ص: 160.

[30] / Petit Larousse (en couleurs), dictionnaire encyclopédique pour tous, librairie Larousse, Paris 1980, p 16.

[31] / أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، مصدر سابق، ص: 04.

المنارة للاستشارات

[32] / أرسطو طاليس: فن الشّعر، ترجمة منى بن يونس، تحقيق شكري عيّاد، دار الكتاب، القاهرة، 1967، ص: 36.

[33] / كارل بوكلمان: تاريخ الأدب العربيّ، نقله إلى العربيّة الدّكتورعبد الحليم النّجّار، دارالمعارف، الجزء الأوّل، الطّبعة الخامسة، القاهرة، 1983ص: 28.

[34] / أدونيس: الثّابت والمتحوّل، الكتاب الثّاني، دار العودة، الطّبعة الثّانية، بيروت / لبنان، [د.ت]، ص:188.

[35] / طه حسين: حديث الأربعاء، دارالمعارف، الطّبعة الثّانية عشرة، الجزء الأوّل، مصر، [د.ت]، ص: 18.

[36] / نفسُه، الصّفحة نفسُها.

[37] / نفسُه: ص: 12.

[38] / أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي: الموازنة بين شعر أبي تمّام والبحتري، مصدرسابق، ص: 25.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊